حرّره المحتاج إلى عفو ربّه:
أيمن بن توفيق الحذيري
المرسم بالمستوى الرابع تعليم
أصلي بالفرع الزيتوني بقصرهلال
- أدام الله عمرانه -

بسم الله الرحمن الرحيم

بحث مادة علوم القرآن - شيخ المادة الموقّر: "كريم بالحاج مصطفى"

✦ ملخّص المبحث الثالث والسبعون في أفضل القرآن وفاضله ✦

ثبت في السّنّة المطهّرة عن الحبيب المصطفى عدّة أحاديث تتحدث عن فضائل السّور وفضلها وتفاضلها فيما بينها. فاختلف العلماء في شرح تلك الأحاديث ومعانيها وتباينت مواقفهم منها تباينا كبيرا. ونقل عنهم صاحب "الإتقان" أقوالهم وحججهم.

فهل اختلافهم حقيقي أم أنّه لا يعدو أن يكون لفظيّا ويدخل في باب تنوع الفهوم والثراء الفكري داخل الدّين السّمح؟

للإجابة عن هذا السّؤال وجب الإشارة إلى أنّ الأقوال المأثورة والمنصوص عليها في هذا الباب من كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للحافظ السّيوطي، هي في مجملها اختلافات بين علماء أهل السّنّة والجماعة المعتبرين دون غيرهم من الفرق البدعيّة.

فقد ذهب الإمام أبو الحسن الأشعري والباقلاني وابن حبّان ومالك بن أنس - رضي الله عنهم أجمعين - إلى المنع أي أن القرآن كلّ لا يتجزأ وأنّه كلام الله ولا تفاضل في كلام الله بين بعضه البعض. وعلى الطّرف الآخر أخذ آخرون بظواهر الأحاديث وأنّ في القرآن ما هو أفضل من بعض ومنهم إسحاق بن راهويه وأبو بكر بن العربي والغزالي والقرطبي.

والأحاديث التي هي محلّ النّزاع بين المجموعتين "يس قلب القرآن" وحديث "فاتحة الكتاب أفضل سور القرآن" و"آية الكرسي سيدة آي القرآن" و"قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن"... وغيرها إلخ.

واختلف تأويل معنى الأحاديث داخل المجموعة الثانية. فرأى البعض أنّه تفاضل على الإطلاق حقيقي وعزوه إلى جمع من علماء السّلف المعتمد على أنّ الأصل في الكلام الحقيقة وأنّه مراد رسول الله. بينما ذهب بعضهم إلى تأويل الأحاديث ومحاولة الجمع بين المجموعتين والتوفيق بين القولين. وبرزت في ذلك خمس مذاهب أو آراء وهي:

1- كل السّور والآيات حسنة في موضعها حسب مواضيعها.
2- الفضل راجع إلى عظم الأجر عند التلاوة ومضاعفة الثواب.
3- الآيات التي تخبر عن الله عز وجل أسنى وأجلّ قدرا لعظم الله وفضله على المخلوقين.
4- تعجيل الأجر والثواب بقراءة سور وآيات بعينها (ويشبه بذلك القول الثاني)
5- القرآن خير من التوراة والإنجيل والزبور لتمكّن التعبد بالتلاوة والعمل به والثواب حاصل عند قراءته دونها.

* وأمرّ وبالله التوفيق إلى إيراد نقولات جليلة جميلة في ذكر محاسن بعض السور والآيات.

- من أجمل ما قيل في فضل "سورة الفاتحة":

- قال الحسن البصري: "إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ثم أودع علوم القرآن الفاتحة، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة" أخرجه البيهقي.

وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشري باشتمالها على الثناء على الله تعالى بما هو أهله وعلى التعبد وعلى الوعد والوعيد...

- من فضائل سورة البقرة:

- قال ابن العربي المالكي: "قال بعض أشياخنا سورة البقرة فيها ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر، ولعظيم فقهها أقام ابن عمر ثماني سنين على تعلمها" أخرجه مالك في الموطأ.

*** نكتة لطيفة: مقارنة بين سورة الإخلاص وآية الكرسي:

"السورة أعظم لأنه وقع التحدي بها... فظهرت القدرة في الإعجاز بوضع معنى معبر عنه بخمسين حرفا (في آية الكرسي) ثم يعبر عنه بخمسة عشر، وذلك بيان لعظيم القدرة والإنفراد بالوحدانية." منقول بتصرف.

- في فضل آية الكرسي:

قال الغزالي: "إنما كانت آية الكرسي سيدة الآيات لأنها اشتملت على ذات الله وصفاته وأفعاله فقط ليس فيها غير ذلك، ومعرفة ذلك هي المقصود الأقصى، وما عداه تابع له" اهـ

- من لطائف التأويل في فضل سورة "يس":

"فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سماها قلبا، ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر؛ لأن في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة والأعضاء ساقطة، لكن القلب قد أقبل على الله تعالى، ورجع عما سواه، فيقرأ عنده ما يزداد به قوة في قلبه، ويشتد تصديقه بالأصول الثلاثة (وهي: الوحدانية والرسالة والحشر)" اهـ منقول بتصرف.

- هذا وقد اختلف العلماء في شرح حديث "سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن" على عدة أقوال. (كلها ذكاء وحسن استنباط)
- كما اختلفوا حول الزلزلة: فقيل أنها نصف القرآن وقيل ربعه.
- وقال البعض: سورة (ألهاكم) تعدل ألف آية.

ختاما بعد أن عرضنا وجه الإختلاف ووشحنا عملنا البسيط ببعض النقولات مع التقصير في توخي الدقة بذكر أرقام الصفحات وذلك لاعتمادي على كتاب ونسخة Pdf. نقول أن الحق في هذا الإختلاف أن كل فريق أراد إدراك الحق والتأدب مع كلام الله ومحاولة تفهم كلام رسول الله على الوجه الذي يليق.

وأستمّ مقصدي وبالله التوفيق، والحمد لله في البداية والتمام.